جامعة الأنبار
كليـــــة التربية للبنات
قسم التاريخ
الدراسات العليا الماجستير

أ.م.د. يوسف سامي فرحان

موقـــــــف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية

الصهيونية :- هي حركة سياسية عنصرية متطرفة ترمي الى اقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم خلالها العالم كله ، واشتقت الصهيونية من اسم (جبل صهيون) في القدس حيث بنى داود قصره بعد انتقاله من (الخليل) الى بيت المقدس في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، وهذا الاسم يرمز الى مملكة داود واعادة تشكيل او تشييد هيكل سليمان من جديد بحيث تكون القدس عاصمة لها .

*** اسباب اختيار اليهود (فلسطين) لأنشاء دولتهم ***

اولاً:- لكونها ارض المثوى لداود وسليمان (عليهما السلام) وارض الميعاد لليهود كما جاء في توراتهم ولذلك فالفكرة دينية وعقائدية .

ثانيا:- ان فلسطين مركز لكل قوى العالم وطريق للالتقاء بين اوروبا واسيا وافريقيا وهي بذلك تعتبر مركزا استراتيجيا هاما للسيطرة على العالم وهو حلم يهودي قديم .

ثالثا:- كونها في مكان متوسط يسهل على الجميع القدوم من اي مكان للهجرة بعكس الارجنتين وموزمبيق وغيرها من البلاد البعيدة .

رابعا :- المناخ المعتدل في ارض فلسطين سواء من روسيا الباردة جدا او من اوروبا وامريكا الباردة نسبياً او من دول الشرق الاوسط المعتدلة الحرارة او من الحبشة الحارة وبهذا فهي بلد تناسب كل التوجهات .

الحجج التي تذرع بها اليهود للدخول الى فلسطين

ويمكن تقسيم الاستيطان الصهيوني في فلسطين حتى عام ١٩٤٨م الى مراحل تمت في العهد العثماني ، وفي عهد الانتداب البريطاني على فلسطين ، وهناك مراحل اخرى تمت بعد تأسيس الكيان الاسرائيلي في ١٩٤٨/٥/١٥ ويمكن اجمالها في المراحل التالية :

-١-

المرحلة الاولى // مرحلة الدولة العثمانية وتحديدا منذ انعقاد مؤتمر لندن ١٨٤٠م بعد هزيمة محمد علي واستمرت الى ١٨٨٢م الا ان مشاريع هذه المرحلة لم تلق النجاح المطلوب بسبب عزوف اليهود انفسهم عن الهجرة الى فلسطين والتوجه الى الولايات المتحدة الامريكية او الانخراط في مجتمعاتهم ومن ابرز نشطاء هذه المرحلة اللورد بالمرستون ، وقد استمرت هذه المرحلة حتى بداية الانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٢٠م.

المرحلة الثانية // مرحلة الانتداب البريطاني على فلسطين وحتى قيام اسرائيل وفي هذه المرحلة بدأ الاستيطان الفعلي في فلسطين حيث تم تكثيف عمليات استملاك اليهود للأراضي الفلسطينية وتدفق الهجرة اليهودية حيث شهدت هذه المرحلة الموجات الثالثة والرابعة والخامسة من الهجرات اليهودية .

المرحلة الثالثة // وبدأت منذ اعلان قيام اسرائيل وحتى عام ١٩٦٧م وفيها تمكنت اسرائيل من الاستيلاء على الاراضي الفلسطينية والاستمرار في مصادرة الاراضي واقامة المستوطنات لاستقبال المهاجرين الجدد باستمرار .

المرحلة الرابعة // هي مرحلة التسوية السياسية وتوقيع اتفاق (اوسلو) عام ١٩٩٣م فقد تسارعت حركة اعمال المستوطنات توسيعها وصولا الى اقامة جدار الفصل العنصري الذي سيطرت من خلاله اسرائيل على اكثر من ثلث مساحة الضفة الغربية.

لقد بدأت المحاولات الصهيونية السياسية بزعامة (هرتزل) للاتصال بـ(الدولة العثمانية) عن طريق سلطانها (عبدالحميد الثاني) منذ عام ١٨٩٦م لإقناعه بان مطالب الصهيونية في فلسطين انسانية لا تنطوي على اية اخطار تهدد (الدولة العثمانية) وليؤكد له ولاء اليهود العميق لـ(الدولة العثمانية)لانهم يقفون في صف

القوانين العثمانية التي تمنع تسلل اليهود الى فلسطين دون موافقة السلطات العثمانية.

وقد اتخذ (هرتزل) لتحقيق هدفه في مقابلة السلطان خطة تتلخص فيما يأتي:-

١-الاستعانة بالمسؤولين العثمانيين للتمهيد له عند السلطان وكانت سبيله الى هؤلاء هي (الرشوة) .

٢-الاستعانة بأصدقائه من الاجانب الذين يعملون لدى السلطان ويستطيعون التأثير عليه .

وقد استطاع كلا الفريقين تمهيد الطريق له في مقابلة السلطان حيث بدأت اول محاولاته للاتصال بالسلطان ١٨٩٦م عن طريق الصحفي اليهودي (روزنفيلد) رئيس تحرير صحيفة (البريد العثماني الحر) في (استانبول) الذي عرض عليه خدماته بالتوسط لدى بعض الشخصيات التركية البارزة ، لأنه على علاقة جيدة مع (عزت بك) الرجل المقرب من السلطان ، فوعده (هرتزل) بأموال كثيرة ان هو نجح في وساطته هذه .

وحين طلب الصحفي النمساوي (نيولنسكي) مبعوث السلطان في مهمة سرية للاتصال باللجان الارمنية في اوروبا لإقناعهم بالإذعان له لان السلطان سوف يمنعهم عن طيب خاطر الاصلاحات التي رفض ان يعطيهم اياها تحت ضغوط الدول الكبرى ، حين طلب من (هرتزل) انتهاز الفرصة وذلك بتأمين مساعدة السلطان في (القضية الارمينية) حتى ينقل السلطان هذا الخبر الذي سيرضيه ويحوز على تقديره ، وهنا بالفعل تدخل (هرتزل) في هذه القضية ولكن جهوده باءت بالفشل.

ولما رأى (هرتزل) عقم الاساليب المتبعة حصر تفكيره في تدبير لقائه مع السلطان مباشرة حيث سافر الى (استانبول) في اول زيادة لها فأجرى اول اتصال رسمي مباشر مع المسؤولين الاتراك فأجتمع مع (ابراهيم جاويد بك) في ١٨ حزيران

١٨٩٦م وعرض عليه المشروع الصهيوني فأبدى معارضته لسيطرة اليهود على (القدس) وفضل ان تبقى تحت الادارة التركية لان اي تغيير في ذلك سيسيء الى المشاعر الدينية كما ابدى معارضته لنوع الحكم الجمهوري الذي سيكون لهذه الدولة لان السلطان يخشى ان تنتقل عدوى هذا النوع من الحكم الى كل مقاطعة من مقاطعات الدول ، وهنا قد انتهى هذا الاجتماع بنتائج غير مشجعة .

لكن (هرتزل) حاول مرارا الاتصال بالسلطان الا انه لم يوفق وازاء هذا الفشل الذريع غادر (هرتزل) استانبول في ٢٨ حزيران من العام نفسه دون ان يمثل امام السلطان ، وقرر ان يستميل السلطان بواسطة تحقيق وعوده له في خدمته (القضية الارمينية) لذلك اخذ منذ عودته يسعى لحل القضية الارمينية عن طريق الاتصال بالمسؤولين الانكليز للحصول على مساندتهم في الضغط على (الايمن) ولكنه لم يفلح بسبب ان بريطانيا تسير بالنسبة للنشاط اليهودي باتجاهين متناقضين حتى وان كانا يؤديان الى هدف واحد :

فالاتجاه الاول : يهدف الى اضعاف (الدولة العثمانية) عن طريق تشجيع الحركات الانفصالية خاصة (الثورة الارمينية) .

الاتجاه الثاني : يهدف الى تأييد المشروع الصهيوني .

في ٢٥ اب ١٨٩٦م بعث (هرتزل) برسالة الى السلطان حيث يعرض فيها مشروعه الصهيوني من جديد ولكن مع اغراءات مالية تقوم مقام الضرائب التي يدفعها المستوطنون اليهود من (فلسطين) الى الحكومة العثمانية ومقابل ذلك ان تقوم الحكومة العثمانية بالموافقة على الهجرة اليهودية الى فلسطين من غير تحديد ثم يعطي المهاجرون اليهود الاستقلال الذاتي المضمون في القانون الدولي (في الدستور ، والحكومة ، وادارة العدل في الارض التي تقرر لهم) اي ان تكون فلسطين دولة شبه مستقلة .

لكن (هرتزل) لم يتلق جواب من السلطان على عرضه مما قد اثار غضبه لاسيما وان (الدولة العثمانية) لم تذعن لإغراءات الصهيونية والعروض المالية بل على العكس قامت برفضها بالرغم من حاجتها وقد بذلت جهودها للاستدانة من الدول الاوربية .

وحين سمع (هرتزل) في ٢٦كانون الثاني ١٨٩٧م ان الدول الاوربية قد قامت بإقراض الحكومة العثمانية بعض المال غضب كثيرا ثم اخذ يُمني نفسه بفشل القرض لأنه كان يتامر في السر على تركيا وحكومتها وسلطانها بالذات والعمل على ابقاء تركيا ضعيفة في كل مناسبة وفي هذه الاثناء اصدر السلطان (عبدالحميد الثاني) قوانين جديدة في حزيران ١٨٩٨م للحد من النشاط الاستيطاني اليهودي في (فلسطين) وبنود هذه القوانين هي :

١-لا يسمح لليهودي الاجنبي بزيارة الاراضي المقدسة الا بداعي الزيارة الدينية فقط.

٢-يتوجب دفع تامين مالي في اثناء دخول البلاد .

٣-يتعهد بمغادرة البلاد خلال (٣٠) يوما .

لقد قام (هرتزل) بزيارة ثانية الى (استانبول) في تشرين الأول ١٨٩٨م وهو في طريقه الى فلسطين حيث قابل القيصر الالماني (ويليام الثاني) في القدس ، ثم وصل الى (استانبول) في ٣ ايار ١٩٠١م وهي زيارته الثالثة بعد ان حصل المستشار اليهودي الهنغاوي (آرمينيوس فامبري) على موعد له بمقابلة السلطان وقد قام بتحذيره قبل الاجتماع .

وفي ١٨ ايار ١٩٠١م جرت المقابلة الاولى والاخيرة بين السلطان (عبدالحميد الثاني) والزعيم الصهيوني وكان في صحبة (هرتزل) حينما قابل السلطان حاخام اليهود في تركيا (موسى ليفي) . وفي الاجتماع بدأ (هرتزل) باستعطاف السلطان ولمح الى ان (الحركة الصهيونية) تهدف الى ايجاد (ملجأ لليهود) في

الاراضي المقدسة (فلسطين) وقد كان الحاخام يؤيد هذا الرأي ايضا .

ثم ذكر السلطان بعد الانتهاء من الاجتماع انه لو كان يعلم ان الاجتماع سيدور حول (فلسطين) دون القضايا المالية لاضطر منذ البدء الى الغائه . الا ان اجتماعه هذا قد اسفر عن موافقة السلطان على هجرة اليهود الى (اسيا الصغرى) وبلاد ما بين النهرين (العراق) مقابل دفع الديون المترتبة على (الدولة العثمانية).

ولقد سجل (هرتزل) انطباعه عن السلطان في هذه المقابلة حيث قال انه (رجل ضعيف وجبان ولكنه طيب القلب لا اعتبره داهية ولا صارما بل سجينا تعيسا ...الخ) وبعد انتهاء المحادثات غادر (هرتزل) (استانبول) متوجها الى (فينا) على امل ان تدرس الحكومة العثمانية مطالبه ، الا انه سرعان ما عاد الى (استانبول) في ١٢شباط ١٩٠٢م في زيارة رابعة ولكنه لم يستطيع هذه المرة مقابلة السلطان الا انه اجتمع مجددا مع بعض المسؤولين الاتراك ومنهم (عزت بك) وقد املى عليهم عزت بك حيث قال : ان جلالة السلطان مستعد ان يفتح إمبراطورتيه امام اللاجئين اليهود

ومن جميع الدول بشرط ان يتعهدوا بان يصبحوا رعايا عثمانيين بكل ما يفرضه عليهم ذلك من واجهات سواء من حيث القانون والخدمة العسكرية وان يتخلوا عن جنسياتهم عند الدخول للبلاد فبهذا يصبحوا رعايا عثمانيين وبذلك يستطيعون السكن في اي مقاطعة في البلاد عدا فلسطين بادئ الامر ، مقابل ذلك تقومون بتأليف وكالة لتصفية الدين العام وللقيام باستثمار مناجم معادن الامبراطورية كلها المكتشفة والتي ستكتشف فيما بعد ، وستكون شركة عثمانية يتألف مجلسها الاداري من اليهود والمسلمين .

وقد وافق (هرتزل) على هذه المطالب على ان يختار اليهود الهجرة واعداد المهاجرين ولكن الجانب العثماني رفض هذا واعلن ان الدولة هي التي ستعي المناطق وتحدد

الاعداد ، فما كان من (هرتزل) الا ان رفض كل ذلك لان اللجنة الصهيونية العليا لم تمنحه صلاحيات تخوله ارتجال سياسة من هذا النوع ، وبعدها غادر (استانبول) الى اوروبا .

وفي ٣ ايار ١٩٠٢م عاد (هرتزل) من جديد يتصل بالحكومة العثمانية مغريا لها بالقضاء على الحركة الثورية بين الشبان الاتراك وذلك عن طريق تأسيس جامعة يهودية في (القدس) يتلقى فيها الطلاب الاتراك العلوم المختلفة عوضا عن السفر الى البلاد الاوربية ، الا ان السلطان فضل ان يتلقى الاتراك العلوم في الجامعات الاوربية مع ما فيه من مخاطر على مشروع (الجامعة العربية) لأنه رأى ان الغالبية من انشاء هذه الجامعة سياسية استيطانية اكثر منها ثقافية .

ثم قام (هرتزل) بزيارة خامسة الى (استانبول) اجتمع خلالها في ٢٨ تموز ١٩٠٢م مع الصدر الاعظم (سعيد باشا) الا ان هذا الاجتماع لم يسفر عن شيء جديد بل كان على غرار غيره من الاجتماعات فلم يتوصل الطرفان الى نتيجة جديدة

ثم قاما بالاجتماع مرة اخرى في ٣١ تموز من العام نفسه فكان كسابقه مما عجل برحيل (هرتزل) فاشلا في مسعاه في ٢ آب ١٩٠٢م .

ونتيجة للموقف العثماني الرسمي من (الحركة الصهيونية) ومشروعها ، عرض القنصل العام السابق للدولة العثمانية في (فينا) (علي نوري بك) في ٢٤ شباط ١٩٠٤م مشروعا غريبا لتحقيق (المشروع الصهيوني) ولكن (هرتزل) ابرق الى (نوري بك) في ١٩ نسيان ١٩٠٤م معتذرا عن قبول الاقتراح بسبب خشيته من قيام مذبحة جماعية لليهود اذا ما فشل المشروع ،

وبعد ان منيت جميع هذه المحاولات التي قام بها (هرتزل) لدى (الدولة العثمانية) بالفشل الذريع الا انه كان لها اثر سلبي على (الدولة العثمانية) وهو ما لم

تكن تتوقعه او تحسب له حسابا حيث يعترف (هرتزل) بخطورة حركته (الصهيونية) ذلك انها شكلت خطرا مستقبليا على مصر جزء من اراضيها (فلسطين) بل وعلق مصيرها هي كليا قبل سقوط ذلك الجزء منها .

المصادر

١. يوميات هرتزل ، ترجمة : علي رمضان فاضل ، ص٨١ .
٢. محمد قربان نبازمك ، السلطان عبدالحميد الثاني واثره في نشر الدعوة الاسلامية ، ص٤٥.
٣. حسان حلاق ، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ، دار الاحد – بيروت ١٩٧٨م ، ص١٢١.

٤. حسن الخولي ، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين ، ج١ ، دار المعارف ، ١٩٧٠م، ص٧٧.
٥. وليد المهدي ، بغية السائل من اوابد المسائل ، دار الراف ، ص٢٢٦٨.